المحتويات

تصدير 9

تقديم المترجم 11

مقدّمة 15

قائمة الصور 21

قائمة المساهمين 23

حول استخدام الكتاب 39

الدليل: المداخل الألفبائية 41

الملاحق

الرموز المنطقية 1645

خرائط الفلسفة 1649

جدول زمني للفلسفة 1667

مصادر الصور واللوحات 1691

مسرد: إنكليزي – عربي 1695

تصدير

لا يحتاج هذا «الدليل» إلى التنويه بأهميته في المعرفة الفلسفية فهو معروف بما فيه الكفاية ومعتمَد لدى أهل الاختصاص في العالم. إنه مرجع لا غنى عنه. ولذلك فإن إصداره، منقولًا إلى العربية ضمن «مشروع نقل المعارف» الذي أطلقته هيئة البحرين للثقافة والآثار، يسدُّ، من دون شك، فراغًا حقيقيًّا في مجاله.

لقد تطلّب إنجاز هذا العمل جهدًا كبيرًا تواصل بضع سنوات. كان هناك جدٌّ وصبر في الترجمة وفي المراجعات المتنوعة وفي التحرير والتدقيق والتوثيق، الخ... ذلك أنّ الهدف لم يكن إضافة ترجمة إلى الترجمات المنتشرة في الأسواق والتي يشكو أغلبها من مساوئ كثُر الحديث عنها. لقد كان الهدف أن تساهم ترجمة هذا «الدليل»، ولو في حدود ضيّقة، في بناء نموذج متقدّم في الترجمة وفي تطوير استعمال اللغة العربية، في الوقت نفسه. وما زاد عن ذلك من أهدافٍ أوسعَ وأبعد، في مجال الترجمة، يحتاج إلى اهتمام في أعلى مستويات القرار العربي...

حتمًا، تبقى الترجمة ترجمةً، فيها، دائمًا، ما عليه اختلاف وما فيه نظر. لكن، ومهما يكن، فقد سعت هذه الترجمة إلى أقصى ما يمكن أن يفضي إليه الجهد، وإني لمقدّرةٌ هذا الجهد حقَّ قدره وشاكرةٌ، جميلَ الشكر، كلَّ من ساهم في بذله.

هذا «الدليل» هو واحد من بين خمسين كتابًا مترجمًا تصدرها هيئة البحرين للثقافة والآثار، اعتمادًا على استشارة واسعة، من منظور الحاجة المعرفية العربيّة. وقد صدرت، حتى الآن، أغلب هذه الكتب ووجدت، في انتظار البقيّة، رواجًا عربيًّا واسعًا. وإذ يسعدني كثيرًا، وبوجه خاص، أن يصدر هذا العمل الهامّ، أتمنى أن تكون له أوسع الفائدة.

مي بنت محمد آل خليفة

رئيسة هيئة البحرين للثقافة والآثار

تقديم المترجم

لا يكاد هذا العمل يبقي على شأن يتعلَّق بالفلسفة دون أن يعرض له، إما بإفراد مدخل خاص به، أو بنقاشه ضمن أحد مداخله. كُبراء الفلسفة وأعلامها، مدارسُها ومذاهبُها، فروعُها العامة والخاصة، طبيعتُها وجدواها، فرضياتُها وتجاربُها الفكرية، مفاهيمُها وتعبيراتُها الشائعة، حججُها ومبرهناتها الشهيرة، أغاليطُها ومفارقاتُها المنطقية، تاريخها وإشكالياتُها، تشكل عناوين مداخل هذا الدليل الذي أعدّته نخبة ممتازة من أبرز فلاسفة العصر. فمن أرسطو وأفلاطون، إلى جون رولز ورتشارد رورتي؛ ومن الفيثاغورية والكلبية، إلى الطاوية والوضعية؛ ومن الإثيقا والإستاطيقا، إلى الهيرمينيوطيقا والميتافيزيقا؛ ومن البرهان الأنطولوجي على وجود الله، إلى البرهان البراغماتي على وجاهة الاستقراء؛ ومن تجربة «دماغ في راقود» التي تشكك في يقينية الاعتقاد في واقعية العالم، إلى تجربة «خنفساء في صندوق» التي ترتاب في اللغات الخصوصية؛ ومن «شيطان ديكارت الماكر» الذي يريه الحق باطلًا والباطل حقًّا، إلى «قطة شرودنغر» السجينة في صندوق لا تموت فيه ولا تحيا؛ ومن استعارة «قارب نويرات» التي تشبِّه البشر بمن يعيد تشييد قاربه في عرض البحر، إلى «حمار بوريدان» الذي نفق جوعًا لأنه لم يجد مُبرِّرًا لتفضيل حزمة تبنٍ على أخرى؛ ومن «أغلوطة رجل القش» التي تعيد صياغة موقف الخصم بحيث يسهُل طرحُه أرضًا، إلى «مُفارَقة برتراند رسل» التي تكشف عن خلل مميت في مشروع فريغه المنطقاني.

وبسبب هذا الطابع الشمولي الذي يسم **الدليل**، والذي تفرضه طبيعته الموسوعية، تُولِي متون مداخله أهمية خاصة للأسس والمبادئ، على حساب الفروع والتفاصيل، وتنوط مهمة الإفاضة فيما قد يجد المتخصص حاجة إليه بما تُختتم به المداخل من مصادر ومراجع.

غير أن نفع هذا العمل المهيب لا يقتصر على البُحّاث المختصين، بل يطال الراغبين في تعميق درايتهم بأصول الفكر البشري، التي غالبًا ما تتخذ طابعًا فلسفيًّا، أيًّا كانت طبيعة الحقل الفكري الذي تؤصّل له. ولعل دارسي الفلسفة الناطقين بالعربية في مسيس الحاجة إلى مثل هذا العمل الذي يحظى بشهرة عالمية واسعة مدارُها أن جامعة أكسفورد، التي عُرفت بسطوتها في حقل الفلسفة، هي التي أشرفت على إعداده ونشره.

وكان تدريس الفلسفة في هذه المؤسسة الأكاديمية العريقة قد بدأ منذ ما يقرب من ثمانية قرون، على يد روبرت غروستست. ومذّاك درّس فيها فلاسفة عظماء من أمثال دنس سكوتس، ووليام أوكام، وتوماس هوبز، وجون لوك، وفرانسيس برادلي، وغلبرت رايل، وجي.ل. أوستن، وأي.جي. آير. وإذا كانت هناك جامعات يمكن أن تنسب إليها فلسفات بعينها، فلا ريب في

أن أكسفورد واحدة منها، إن لم تكن على رأس القائمة، وحسبنا في هذا السياق أن نتذكر أن الفلسفة التحليلية، إحدى أشهر نزعات القرن العشرين، توصف أيضًا بأنها فلسفة أكسفورد.

فإذا أضفنا إلى هذا أن «الغاية الجسورة والعظيمة التي يحاول هذا الكتاب تحقيقها» تتمثل على حد تعبير محرره «في وضع الفلسفة بين دفّتين بشكل لم تُعرف لجودته من قبلُ مثيلًا»، تبيّنَ أننا لا نبالغ حين نصف هذا العمل بالمهيب.

وبحسبان أن «مقدّمة المحرر» تعطي فكرة وافية عن الأسلوب الذي تبنّاه في إعداده، سوف يركّز هذا التقديم على سرد بعض الصعوبات التي واجهت مترجمه في ترجمته، وعلى ذكر بعض المُلاحَظات التي قد تسهّل على القارئ عملية البحث عما يعنّ له البحث عنه من مداخل.

وترجع أول صعوبة إلى حجم الكتاب؛ ومعدّل أخطاء الترجمة يطّرد بداهة مع كمّ النصوص المترجمة. غير أن المُراجع والمحرر بذلا ما في وسعهما من تدقيق بما قلّل من عثرات المترجم وهناته.

وترجع ثاني الصعوبات إلى كون هذا الكتاب عملًا فلسفيًّا، والخطاب الفلسفي صعب على الفهم ابتداء، وأدعى من ثمّ أن يكون صعبًا على الترجمة.

أما ثالث الصعوبات فمناطها أن الكتاب المترجَم عمل موسوعيّ، وأن مهمة ترجمته قد اضطلع بها شخص واحد، ولا يخفى أن عبء ترجمة الأعمال الموسوعية كبيرٌ ينوء بحمله كاهل فرد. ذلك أن المترجم، كغيره من المترجمين في أي حقل من حقول المعرفة البشرية، أقرب إلى مجالات دون غيرها، ومن المتوقَّع أن يلقى عنتًا في ترجمة المداخل المُتعلّقة بالمجالات الأبعد عنه.

وللتقليل من ثقل هذا العبء، قام المشرف على «مشروع نقل المعارف» الدكتور الطاهر لبيب بتيسير لقاءات بين المترجم وعدد من الخبراء المختصين في حقول فلسفية متنوعة. وقد أفاد المترجم من خبراتهم، خصوصًا في تصويب ترجمة العديد من المُصطلَحات وعناوين الكتب وأسماء الأعلام.

ولأن المفاهيم والمواقف والنزعات الفلسفية حمّالة أوجه، تظل هناك فرصة لنشوب الخلاف ـ حتى بين المختصين في الفرع الفلسفي نفسه ـ حول الترجمة المُناسبة لبعض المُصطلَحات والعبارات الفلسفية. وإذا كنّا نجد صعوبة في توحيد المُصطلَحات العربية في مختلِف التخصصات الأكاديمية، فأولى أن نجدها في تخصص اشتهر بطبيعته الخلافية.

وهناك رابعًا الصعوبة الناجمة عن تعدد الثقافات الإنسانية التي يأتي هذا الكتاب على عرض فلسفاتها. ذلك أن ترجمة عمل يشمل مداخل مطوّلة حول الفلسفة الهندية، والصينية، والروسية، والكورية، والإسبانية، والألمانية، واليونانية، والهولندية، والفرنسية، والإيطالية، واليابانية، والأفريقية، والإسلامية، وغيرها، مهمة صعبة، تحديدًا بسبب حجم الفروق التي

تفصل بين الثقافات البشرية، ولكونها لا تنعكس في مجال ثقافي قدر ما تنعكس في الفلسفة. فإذا أضفنا إلى ذلك الاحترازات الفلسفية المستريبة ـ التي أبداها ف.دبليو. كواين ـ في إمكان ترجمة أي مفردة لغوية بصرف النظر عن بساطة دلالتها، اتضح تمامًا حجم المصاعب التي تواجه كلَّ من تحدّثه نفسه بترجمة عمل فلسفي موسوعي من هذا القبيل.

أنتقل الآن إلى ملاحظتين تتعلقان بعناوين مداخل هذا العمل. أولها أنني قمت بترتيبها حسب حروف الهجاء، دون مراعاة لجذور الكلمات. ومثل ذلك أن المداخل:

‘mental event’, mental indispensability’, ‘mental reductionism’, ‘mental states’,

لم تترجم (على التوالي) إلى: «ذهني، حدث»، و«الذهني، لزوم»، و«الذهنية، الردية»، و«ذهنية، هيئات»؛ بل ترجمت (على التوالي) إلى: «حدث ذهني»، و«لزوم الذهني»، و«الردية الذهنية»، و«هيئات ذهنية». وعلى الرغم من أن الترتيب الهجائي يؤدي في أحايين كثيرة إلى تفرّق مداخل متصلة بالمفهوم نفسه، كما يستبين في أمثلة المداخل المتعلقة بمفهوم «الذهن»، فإنه يغني عن الفواصل التي تحشد بها عناوين المداخل في النص الأصلي. فعلى سبيل المثل، ترجمتُ المداخل:

‘relations, internal and external’; ‘revolutions, scientific’; ‘representation, political’,

(على التوالي) إلى: «عَلاقات داخلية وخارجية»؛ و«ثورات علمية»؛ و«تمثيل سياسي». الراهن أن الحالة الوحيدة التي تظهر فيها فواصل في ترجمتنا لعناوين المداخل هي حالة أسماء العلم.

ولأن القارئ العربي قد يعرض لمُصطلَح فلسفي بلغة أجنبية، ’Utilitarianism‘ مثلًا، ويرغب في البحث عنه في **الدليل** دون دراية مسبقة بمقابله العربي المستخدم في ترجمة هذا المُصطلَح، رَتّبنا «المسرد الإنكليزي ـ العربي» بحسب الحروف الهجائية الإنكليزية، وهذا يعني أنه يلزمه في حالة مثلنا هذا البحثُ عن المُصطلَح في «المسرد» ضمن المداخل التي تبدأ بحرف U، إلى أن يعثر عليه، حيث يجد أن ترجمته هي «النفعية»، التي يرد مدخلها في متن الكتاب ضمن المداخل التي تبدأ بحرف النون.

تتعلق المُلاحَظة الثانية بحقيقة أن التعبيرات الفلسفية الشائعة بلغات أجنبية تثير صعوبة تتعلق بعدم شيوعها في العربية. لا أتحدث هنا عن تعبيرات من قبيل «كوجيتو إرغو سم» («cogito ergo sum»)، التي اشتهرت في العربية وتترجم عادة إلى « أنا أفكر إذن أنا موجود»، بل أتحدث عن تعبيرات على شاكلة «إسي إست بِركبي» (esse est percipi)، التي تعني«أن تكون هو أن تُـدرَك»، و«أكريجيا» (akrasia)، التي تعني «سلس انفعالي»، و«سترس باربس» (ceteris paribus) التي تعني «ما ظلت سائر الأشياء على حالها». فباستثناءات قليلة، لا يترجم العمل في نسخته الأصلية مثل هذه العبارات إلى الإنكليزية حين ترد عناوين لمداخل، بل يبقي عليها ويرتّبها وَفْقَ أول حروفها بلغاتها الأصلية (في حالة أمثلتنا ضمن الحروف C، E، A، C على التوالي).

ولأن محرر العمل الأصلي اتبع سياسة استهلال متون مثل هذه المداخل بترجمة التعبير الأجنبي إلى الإنكليزية، قررت في البداية التأسّي بما فعل، بأن أعنون المدخل بتعريب العبارة الأجنبية وإتباعها بالترجمة العربية موضوعة بين قوسين معقوفين (أكريجيا [سلس انفعالي]، مثلًا). غير أني آثرت في النهاية، عملًا بنصح المراجع، عنونةَ المداخل المعنية بالترجمة العربية بدلًا من الأجنبية، بحيث أضع الترجمة الحرفية بين قوسين معقوفين في حال شهرة العبارة في الثقافة العربية بلغتها الأصلية (سلس انفعالي [أكريجيا]، مثلًا)، وأستغني عن التعريب في حالة عدم شهرتها. وقد وجدت هذا بديلًا أنسب لأنه، خلافًا للبديل الأول، يُيسّر على القارئ عملية البحث عن مثل هذه العبارات.

غير أن هناك حالات قليلية أبقيت فيها على الكلمة الأجنبية عنوانًا للمدخل، لأسباب تتعلق بتعدد دلالاتها؛ ومثلها كلمة **يوديمونيا** (*eudaimonia*)، التي تعني حرفيًّا «الحيازة على روح حارسة خَيِّرة»، والتي تترجم عادة إلى «سعادة» لكنها تختلف عنها من حيث كونها ـ خلافًا للسعادة ـ خاصية موضوعية. ومثلها الثاني كلمة (*quiddity*)، التي تعني تاريخيًّا «الماهية»، لكنها أصبحت تعني الطبيعة المُتفرِّدة للخاصية. وهناك أيضا مصطلح **آنست** (*angst*)، الذي يشير إلى حالة قلق متكررة تنتاب المرء على حياته، والذي يُترجم حين يستخدمه كيركغرد إلى «الروع» أو «الرهبة»، فيما يستخدمه هيدغر لوصف ما يُعرف بالقلق الوجودي.

وأشير إلى أنه سبق لي أن قمتُ بترجمة الطبعة الأولى من هذا العمل، التي صدرت عن جامعة أكسفورد عام 1995، لكنها كانت ترجمة كثيرة الأخطاء، ولم تحظ بطباعة ولا توزيع يليقان بأهمية هذا العمل، وهذا ما جعلني أرحّب بعرض «هيئة البحرين للثقافة والآثار» ترجمة الطبعة الثانية الصادرة عام 2005، التي أضافت إلى الطبعة السابقة مداخل كثيرة، وأجرت على بعض مداخلها تعديلات جوهرية. وفي حين أنه ليس لي أن أجزم بأن ترجمتي هذه تخلو من الأخطاء، فإن لي أن أقول إني بذلت ما أسعفتني الهمّة لبذله من أجل التقليل منها، أعانني على ذلك المراجع، الدكتور منير الطيباوي، الذي اعتبره شريكًا لي في الترجمة. ولا يفوتني أيضًا أن أنوِّه بالجهد المضني الذي بذله مدير التحرير الأستاذ هاني تابري، وبالاهتمام الخاص الذي أولاه القائمون على «مشروع نقل المعارف» لهذا العمل.

وختامًا، لايفوتني أن أشكر فريق التحرير في «مشروع نقل المعارف» على ما بذل من جهد متواصل في المراجعة وأن أنوّه، تخصيصًا، بما قامت به الآنسة إلسي ناصيف من متابعة إدارية لمراحل إنجاز هذه الترجمة وبما قامت به، هي والسيد رامي الحجار، من تصويب ما سهوت عنه.

نجيب الحصادي

بنغازي / ليبيا / يناير 2019

مقدّمة

تمثلت الغاية الجسورة والعظيمة التي حاول هذا الكتاب تحقيقها في وضع الفلسفة بين دفّتين بشكل لم تَعرف لجودته من قبلُ مثيلًا. ليست هذه مهمة يقوم بها شخص واحد، رجلًا كان أم امرأة، ولا قلّة من الناس، أو فريقٌ منهم، على الرغم من أنه غالبًا ما بُذلت المحاولات للقيام بها. وهكذا جُنّد منذ عشر سنوات 249 منّا لإنجاز الطبعة الأولى، وقد تعززت جهودنا في هذه الطبعة الثانية بـ 42 مساهمًا، فيما أضفنا إلى المداخل البالغ عددها 1932 مدخلًا التي اشتملت عليها تلك الطبعة ما يقرب من 300 مدخل آخر. أجرينا أيضًا تعديلات وإضافات وافية على الكثير من مداخل الطبعة الأولى، كما أجرينا تعديلات على قائمة الفلاسفة المعاصرين في الطبعة الأولى بحيث تعكس واقعية الزمان التي أنكرها مكتاغارت.

تشتمل الفلسفة التي جمعناها هنا، أوّلًا، على أعمال كبار الفلاسفة. وَفْقَ الاستخدام السائد لهذا التعبير، لعل هناك عشرين منهم؛ ووفق أي معيار، يشتمل هذا «البانثيون» على أفلاطون، وأرسطو، والأكويني، وهوبز، وديكارت، واسبينوزا، وليبنتز، وبركلي، وهيوم المبارك، وكانط، وهيغل، ونيتشه. ويشكّل هؤلاء، بصحبة آخرين أقلّ بعض الشيء مكانة منهم في «البانثيون»، مواضيع أبحاث مطوّلة في هذا الكتاب.

ثانيًا، تغطي الفلسفة حسب تصور هذا الكتاب كل تاريخها باللغة الإنكليزية، أي تاريخ المفكرين البريطانيين والأميركيين أساسًا. في هذا التاريخ، ثمة الكثير من الشخصيات التي لم تكن بارزة بروز لوك وبركلي وهيوم. من بين هؤلاء، وإن لم يضمهم «البانثيون»، جون ستيوارت مل، وتشارلز ساندرز بيرس، وبرتراند رسل، ولودفيغ فتغنشتاين إذا كان بالإمكان، كما ينبغي أن يكون، تضمين نمساوي في هذا التاريخ بعينه. ومنهم أيضًا جوناثان إدوردز، وتوماس ريد، ووليام جيمس، وف.هـ. برادلي.

ثالثًا، على الرغم من أنه لم يكن في وسع هذا العمل أن يتضمّن كل تواريخ الفلسفة في لغات غير الإنكليزية، فإنه يوليها عنايته. إنه يهتم بما هو أكثر من عظماء هذه الفلسفات غير الناطقة بالإنكليزية. وهكذا أضفنا إلى ديكارت فلاسفة من شركائه وشريكاته في الوطن، سيمون دي بوفوار، وهنري برغسون، وأوغست كونت مثلًا؛ كما أضفنا إلى كانط وهيغل كلا من جي.ج. فيشته، ويورغن هابرماس، وكارل ياسبرز، وغيرهم. هناك أيضًا

مداخل عامة حول كل الفلسفات القومية، من الأسترالية إلى الكرواتية، ومن اليابانية إلى الروسية.

وهناك جزء رابع لا تعوزه الأهمية يتألف من حوالى 150 مدخلًا حول فلاسفة معاصرين، حيث الجماعتان الأكبر هما الأميركية والبريطانية. لقد كان لإغفال المعاصرين أن يكون تقصيرًا، ونوعًا من العجز. ذلك أن الفلسفة في حال ازدهار مستمر، وينبغي ألا يستبعد ماضيها حاضرَها. ثم إن بعض أولئك المعاصرين سوف ينضمون يومًا ما إلى «البانثيون».

ويمكن عرض ما قيل للتّو عن تلك المواضيع الأربعة في الفلسفة، كما يتصورها هذا الكتاب، بأسلوب مختلف، بحيث نعتبرها على نحو لا يركّز على المفكرين الأفراد بقدر ما يركّز على الأفكار والحجج، والنظريات والمذاهب ورؤى العالم، والمدراس والحركات والتقاليد. ومن شأن هذا أن يسهم في تحديد آخر للكتاب، أكثر تمامًا ولا يقلّ إن لم يكن أكثر بيانًا. وعلى وجه الخصوص، فإنه يفصح بطريقة أفضل عن حقيقة أن الكتاب معنيّ بالفلسفة المعاصرة بدلًا من تاريخها.

لعل هناك دزينة من الفروع المستقرة في الفلسفة: الإبستيمولوجيا، والميتافيزيقا، والفلسفة الأخلاقية، والفلسفة السياسية، والمنطق الفلسفي، والمنطق، وفلسفة الذهن، وعلم الجمال، وغيرها. ونسبة لكل فرع، يحتوي الكتاب على مقال مطوّل، يُعنى بتاريخه، ومقال آخر يعنى بإشكالياته على النحو الذي آلت إليه، من إعداد مختصّين ليسوا بأي حال غريبين عن الموضوع.

يُلقَى أيضًا المزيد من الضوء على كل فرع من هذه الفروع عَبْرَ العديد من المداخل الإضافية ـ بداية عَبْرَ المداخل السالفة الذكر حول كبار الفلاسفة، ومداخل أخرى حول رفقائهم الأقل أهمية منهم في التاريخ الناطق بالإنكليزية والتواريخ الناطقة بغيرها، فضلًا عن المداخل الخاصة بفلاسفة معاصرين يواصلون الآن سعيهم الدؤوب.

هناك أيضًا، في حالة كل فرع من تلك الفروع المكرسة، عدد هائل من المداخل الفرعية التي لا تتعلق بفلاسفة أفراد. هذه مداخل لا تقل أهمية، ولعلها تغطي مساحة أكبر من هذا العمل. تُراوح هذه المداخل بين المقالات القصيرة والتعاريف. إذا ألقينا نظرة سريعة على المداخل الفرعية في فلسفة الذهن وحدها، سوف نجد أنه إلى جانب مقالتين مطوّلتين، توجد على سبيل المثال مداخل قصيرة حول «**أفعال**»، «**النزعة الحيوانية في الهوية الشخصية**»، «**الواحدية الشذوذية**»، «**جسم**»، «**برنتانو**»، «**نظرية الحزمة في النفس**»، «**معمار معرفي**»،

«**علم الإدراك المعرفي**»، «**الحتمية**»، «**قلبان في جوف**»، «**الثنائية**»، و«**بطة–أرنب**». وهذه مُجرَّد بداية بسيطة في فلسفة الذهن.

لقد قلت لتوّي شيئًا عن الفلسفة تهدف مداخل هذا الكتاب البالغة 2230 مدخلًا إلى توضيحه؛ والسؤال هو: توضيحه لمن؟ [وفي معرض إجابتي عن هذا السؤال أقول] إن هذا كتاب لكل باحث عن حكم مستنير يصدره ثقات ممتازون. ولهذا فإنه موجّه جزئيًّا للقارئ العام الذي يرى أن للفلسفة فتنة تضاهي إن لم تفق فتنة أي قطاع آخر في وجودنا الفكري والثقافي، والذي يبحث عن تصورات لها يمكنه الثقة فيها. وهو موجه أيضًا لدارسي الفلسفة ومُمارسيها، والمعنِيين بالتدقيق في ترشيداتها. لو لم يكن هذا الأخير هدفًا للكتاب، ما كان له أن يستهدف الأولى. ليست هناك تصورات لأي موضوع يمكن أن تكون موضع ثقة القارئ العام ما لم تغرِ وتنجُ من تدقيق الخبراء فيه.

وإذا كان هذا وصفًا لطائفتين من القرّاء المقصودين من هذا الكتاب، فإن هناك طائفة ثالثة غاية في الأهمية. توجد أساليب مختلفة في القراءة. يمكن الجمع بين عموم القراء والخبراء ثم تقسيمهم إلى فئتين أُخريين تضمّ إحداهما قرّاء يمارسون الفلسفة، وتضم الأخرى قرّاء لا يمارسونها. حتى أكثر طلاب الدراسات العليا تفانيًا، حتى الأكاديميون ذوو الميول المهنية الصادقة، أو العصاميون المتحمسون، لا يتعهدون بالقيام بواجبهم بصفة مستمرة. ليست القراءة دائمًا عملًا، ولحسن الحظ أنها غالبًا ما لا تكون كذلك. إنها لا تمارس من أجل الحصول على أجوبة عن أسئلة مثارة أصلًا، أو النجاح في امتحان ما، أو كتابة أبحاث، أو الترقية إلى درجة أستاذ. إنها لا تمارس بتصميم مكين على المعرفة وسعيًا وراء الحقيقة. في أغلب الأحوال، أن تقرأ هو أن تتصفح، أن تسفح الوقت، أن تتسكع. القراءة إشباع لفضول، أو تلبية لرغبة في الاطلاع على ورقة تكشفت أمامك. القراءة هي أن تُستثار برؤية عبارات على شاكلة «**إقرار التالي**»، «**تجميع**»، «**الفلسفة الأميركية اليوم**»، «**التهاب مفاصل في الفخذ**»، «**بودريار**»، «**قبلة الغبطة**»، «**غلق**»، «**فلسفة العلم النسوية**»، «**منطق الكم**»، «**وحل**»، «**حجج المقلاع**»، «**تاروت**»، «**ماء القار**»، «**ثرازيمكوس**»، «**أشياء غامضة**»، أو «**فتغنشتاين الجديد**».

«الدليل» إذًا، بما هناك من عذر لاستدعاء الوصف الصحيح لهذه الكلمة التي يساء استخدامها أحيانًا، ليس فقط من أجل القارئ المجتهد، كي يدرسه وربما يكدّ به. إنه ليس مُجرَّد كتاب مرجعي كامل، بل أكثر أُنسًا من ذلك. إنه كتاب مسلّ، يناسب صباحات العطلات، ولهذا السبب لم يُختر كل ما فيه وَفْقَ المبدأ الأسمى؛ مبدأ المثابرة على العمل الكؤود. ثمة

مداخل فيه، كما سبق أن أشرنا، يرجع مبرر وضعها إلى أهميتها الكامنة فيها بدلًا من موضعها المستحق في قائمة عناوين محرر أشدّ صرامة.

لم تبق سوى ثلاثة أشياء يلزمني قولها في هذه المقدّمة. يتعلَّق أولها بطبيعة الفلسفة ومن ثَمَّ بطبيعة الكتاب نفسه. أيزيا برلن، أحد المساهمين في هذا الكتاب، عرّف الفلسفة ذات مرة بأنها لا تنقصها فحسب أجوبة عن الكثير من الأسئلة، بل ينقصها أيضًا المنهج المتفق عليه في العثور على أجوبة. (في ذهنه هنا مقارنة مع العلم، لعلها ليست أثيرة، لأسباب مختلفة، لدى مساهمين آخرين، من أمثال بول فيرابند أو دبليو.ف. كواين). والحال أن الفلسفة، بالتأكيد بسبب الصعوبة الخاصة في أسئلتها، عرضة للاختلاف والجدل مثل أي بحث آخر، بل لعلها أكثر تعرّضًا لهما، فأسئلتها تظل في النهاية الأصعب على الإجابة.

ولهذا السبب لا سبيل لأن يكون هذا الكتاب متّسقًا بشكل كامل. حتى بعدد أقل من 291 مساهمًا، إذا كانوا ملتزمين بآرائهم بقدر ما يلتزم بها الفلاسفة عادة، ولا ريب في أنه ينبغي عليهم أن يكونوا كذلك، سوف تظل هناك خلافات. سوف تنشب خلافات حتى لو اقتصر الكتاب مثلًا على فلاسفة أكسفورد الأربعة وثلاثين، أو اقتصر على فلاسفة كاليفورنيا. وعلى أي حال، ثمة مداخل لصيقة تتنازع فيما بينها. غير أني لم أحاول بوصفي محرّرًا الاسراف في عمليات التوسط أو تهدئة النزاعات بين زملائي، وإن استسلمت لفكرة أو اثنتين بخصوص «**قضايا فلسفية غير محتملة**». (كما أنني لم أقم بتوجيههم بخصوص نوع المواد التي يضمّنونها في البيبليوغرافيا الواردة في خواتيم مداخلهم، ولم أحاول بطريقة سمجة استبعاد أي مدخل تم تناول موضوعه، بأسلوب مختلف، في موضع آخر). لقد كان لقيامي بذلك أن يكون أنسب، ولكن كان له أيضًا أن يؤدي إلى التقليل من درجة المصداقية فيما يتعلَّق بالفلسفة، كما كان له أن يؤثر في شيء آخر يؤكد عليه الكتاب: أنه لا يشتمل على رؤى مختلفة فحسب، بل يضمّ أصواتًا مختلفة.

يذكّر هذا بأمر آخر، يتعلَّق بالـ 150 فيلسوفًا معاصرًا الذين يشكلون مواضع بعض مداخل هذا الكتاب. لقد كان هدفي منح القارئ، العام أساسًا، إحساسًا بالمشروع الفلسفي كما يمارس اليوم (فكما أسلفت، ليست الفلسفة موضوعًا ميتًا أو يحتضر، بل موضوع لا تقل حيويته، بل أكاد أقول شبابه، عن أي وقت مضى. العلوم والخرافات وحدها التي تروح وتغدو). وقد كان في وسع محرر آخر، على قدر مساوٍ من الحكمة، أن يبحث في جماعته، وأن يتفكر في شخصية شهيرة أو اثنتين، متسلّيًا دون شك بحقيقة الصرْعات الفلسفية، وأن يختار بأسلوب مغاير.

في الطبعة الأولى، اختيرت في البداية قائمة من المعاصرين، أساسًا من قِبلي، وقد كانت هذه القائمة لاحقًا موضوع اقتراح كريم أو اثنين من أشخاص مرشحين للإسهام في هذا العمل كانوا اطّلعوا عليها، وربما وصلتني رسالة أو اثنتان من أشخاص شعروا بأن ضررا قد لحق اعتزازهم بأنفسهم أو لم يصدّقوا أنهم أُسقطوا من الحساب. وقد أُخذت هذه المناشدات بعين الاعتبار بطريقة بعينها، ثم قُدمت قائمة المساهمين البدئية إلى لجنة تحكيم مؤلّفة من دزينة من الفلاسفة المميزين في كل أجزاء الموضوع ونزعاته. وافقت اللجنة على القطاع الأساسي وغير الخلافي من القائمة، ولكن ليس أكثر من ذلك بكثير. لم يوافقوا إلى حد كبير على إضافاتهم المقترحة لبقية القائمة، ولا على محذوفاتهم منها. ولم يكن هناك اقتراح بالإضافة أو الحذف حظي بأكثر من صوتين من دزينة الفلاسفة الجيدين والحقيقيين. كل معاصر حصل على صوتين أُضيف؛ ولم تكن هناك أي محذوفات.

أما في هذه الطبعة الثانية، فقد استُمدّت الآراء من ثلاثين فيلسوفًا، من كل القناعات، أو على الأقل من قناعات متنوعة، بخصوص الكيفية التي نجعل وفقها المعاصرين في الكتاب ممثّلين للألفية الثالثة التي كانت بدأت منذ بضع سنوات. وقد اشتمل هذا الاستطلاع على إزعاج لولاءاتي وحساساتي. ولأني ديمقراطي حقيقي لا يقيم وزنًا للتراتبية، أخذت بالنصيحة. كي تتأكد عزيزي القارئ من أن هذا أمر جلل، تذكّر هيوم، القديس ديفيد، أعظم الفلاسفة الإنكليز. لم يُنتخب للأستاذية في أدنبره وغلاسكو، فيما حظي بها السيد كليغهورن والسيد كلاو.

أختتم بعرفاني بالفضل، وقدرُه كبير. وأنا أجد نفسي مدينًا بفضل الكثيرين، أوّلًا للـ291 مساهمًا الذين لم يقصّروا في تأدية ما طلب منهم. لقد تحمل المساهمون في الطبعة الأولى جميعًا تغيّرات الرأي التي كانت تطرأ بخصوص طول المداخل. وكثير منهم تحمّل أكثر من ذلك، وهذا يشمل عديد الرسائل المُتعلّقة بتنقيح أعمالهم أو البدء من جديد. أنجز الأقوياء منهم عددًا كبيرًا من المداخل. البعض كان من النوع الذي يعوّل عليه، فقد أعدّوا عددًا كبيرًا من المداخل بشكل جيد، وكانوا يسرعون إلى إعمال فكرهم ويعبّرون عن مشاعر حميمية بالعرفان. البعض فكّر فلسفيًّا بخصوص حقيقة مؤسية مؤادها أن المشاركة التي كُلف بها الواحد منهم، «مدرسة فرانكفورت» أو «لاتَحدُّد الترجمة» مثلًا، لم تُضمَّن في الكتاب لأن المحرر أساء التصرف وكلّف شخصًا آخر قبلهم. بعض المساهمين وآخرون تصرفوا باحترام أو لزموا الصمت حين لم تجد مداخلهم المقترحة، مثل «مضاجعة جنسية»، «آين راند»، سبيلًا لاختراق قلاع مبادئي الفلسفية.

شكري الخاص لبيتر مومتشيلوف، عميد محرّري الفلسفة في العالم، والمحرر الفلسفي لجامعة أكسفورد. فضل هذا العمل يعزى إليه بقدر ما يعزى إلي، وإن كنت مسؤولًا بشكل فردي عن الأخطاء، وأساليب التعبير غير المُناسبة، وعن حكم أو حكمين لم يتفق معهما تمامًا. أشكر أيضًا الأربعة عشر فيلسوفًا الذين قرأوا مجمل المخطوط الأول أو أجزاء منه وكتبوا مقترحات لتحسينه: كرستوفر كـروان، وديفيد هملين، وجوناثان لوي، في المقام الأول، وأيضًا سايمن بلاكبرن، ألكسندر بـرودي، جوناثان كوهن، روس هاريسون، رونالد هبرن، مايكل إنـوود، نيكولا ليسي، ديفيد ملر، رتشارد نورمان، أنطوني أوهير، ورتشارد سونبرن.

أتوجه بالشكر أيضًا إلى هيئة المحكّمين من الفلاسفة المميزين الذين ألقوا نظرة على قائمة معاصريهم البدئية، وللثلاثين مستشارًا في هذا الخصوص بالنسبة للطبعة الثانية.

شكري موصول أيضًا لكل من: إنغرد كوغن هُندرتش؛ جين أوغريدي، وألن ليسي، الذين أعدّوا «جدول زمني للفلسفة» و«خرائط الفلسفة»؛ ولجون آلن من مكتبة كلّية لندن الجامعية؛ وهيلين بيتردج، وفيفيين كرو، وآن ولدردج اللائي قدمن عونًا سكرتاريًّا؛ وتم بارتون، ولورين بركلي، وأنجلا بلاكبرن، وفرانسيس مورفي من دار طباعة جامعة أكسفورد، فجميعهم كانوا بواسل، ومحقّين دائمًا تقريبًا.

ت.هـ.

قائمة الصور

الفلسفة القديمة

فيثاغورس، هرقليطس، سقراط، ديمقريطس 1084

أفلاطون، أرسطو، أبيقور، أفلوطين 1088

الفلسفة القديمة المُتأخِّرة والوسيطة المبكِّرة

أوغسطين، بويثيوس، أبيلار، آنسلم 291

الفلسفة الوسيطة

ابن سينا، دنس سكوتس، روجر بيكون، الأكويني 1129

مؤسسو الفلسفة الحديثة

ديكارت، ليبنتز، اسبينوزا، كانط 885

هوبز، لوك، بركلي، هيوم 297

الفلسفة في بريطانيا

فرنسيس بيكون، ريد، سدجويك، برادلي 1017

بنثام، مل، ولستونكرافت، بورك 1532

مور، رسل، فتغنشتاين، كولنغوود 1095

رايل، آير، ستراوسن، [كارل] بوبر 989

الفلسفة الفرنسية

روسو، كونت، برغسون، ميرلوبنتي 1072

سارتر، دي بوفوار، فوكو، آلتوسير 1620

الفلسفة الأوروبية القارية

هيغل، ماركس، لوكاتش، كروتشه 1590

فيشته، شوبنهور، كيركغرد، نيتشه 995

هوسرل، فريغه، أورتيغا إي غاسيت، هيدغر 1080

الفلسفة في أميركا

إدوردز، بيرس، جيمس، سانتيانا 362

ديوي، كارناب، كواين، غودمان 1007

ديفدسون، بتنام، سيرل، نيغل 189

رولز، ماكنتاير، كربكي، دينيت 165

الفلسفة الشرقية

كونفوشيوس، نيشيدا، طاغور، راداكرشنان 1116

الفلسفة في نهاية القرن العشرين

كون، لويس، رورتي، وليامز 1246